الأدب الإسلامي والتطوّر

لقد سيطرت فكرة التطور على الفكر الأدبي خلال القرن التاسع عشر سيطرة كادت تلهيه عن أية فكرة أخرى ، وهي فكرة مأخوذة من العلوم الطبيعية والحياة ، ولكنها شملت مظاهر الحياة كافة ، المادة والفكر والنفس . فلم يعد هناك شيء في الفكر الأوربي إلا وأُخضع إلى قانون التطور بما في ذلك القيم والأخلاق والدين . وليس القرن العشرون بأقل حماسة لهذه الفكرة لأن الأسس التي اعتمدت عليها الحياة في هذا القرن هي في الحقيقة مستندة إلى حصيلة أفكار القرن التاسع عشر وإنجازاتها.

ولكننا لسنا إزاء تفسير واحد لهذا التطور ، بل هناك تفسيرات عدة ، منها ماكان في علوم الحياة على الشكل الذي ظهرت فيه نظرية دارون ، أو نظرية ماركس في التطور الإنساني على ضوء علاقات الإنتاج ، أو نظريات فرويد ودوركايم في ميدان النفس والإجتماع .

ويحسن بنا ، قبل الحديث عن انعكاس فكرة التطور على الأدب ، أن نقف قليلاً عند نظرية (المادية التاريخية) التي أدّعت أنها كشفت قوانين التطور (الديالكتيك) خلافاً للميتافيزيقية التي تعتبر الطبيعة في حالة سكون . وهذا - كما يرى المفكر الإسلامي الكبير محمد باقر الصدر رحمه الله - وهمٌ ناشيء عن عدم استيعاب تاريخ الفكر الإنساني كله ، إذ أن الجديد ليس فكرة التطور ذاتها ، بل طابعها (الديالكتيكي) الجدلي (١) .

وبعد أن عرض السيد الصدر إلى قدم فكرة التطور في الفكر الإنساني،ولدى الفيلسوف المسلم (صدر الدين الشيرازي) خاصة في نظريته عن الحركة الجوهرية، فَنَّد الأسس التي يعتمد عليها التطور الديالكتيكي القائم على التناقض .

والذي يهمنا من هذه الدراسة الفلسفية المعمقة هو ماادعته الماركسية من أن